

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ  
مالي أراك على الذنب مواطن

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عداون إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين وإله المرسلين وقيوم السموات والأرضين وأشهد أن محمدا عبد ورسوله المبعوث بالكتاب المفارق بين الهدى والضلal والغي والرشاد والشك واليقين  
أما بعد -

نتواصل مع هذه المقتطفات من كتاب الإمام ابن القيم " بحر الدموع "

كتب بن القيم رحمة الله، إخواته، إلى كم هذه الغفلة وأنتم مطالبون بغير مهلة؟ فالله عليكم، تعاهدوا أيامكم بتحصيل العدد، وأصلحوا من أعمالكم ما فسد، وكونوا من آجالكم على رصد، فقد آذتكم الدنيا بالذهب، وأنتم تلعبون بالأجل وبين أيديكم يوم الحساب. آه من ثقل الحمل.. آه من قلة الزاد وبعد الطريق.  
في أيها المغدور باقباله، المفتون بکواذب آماله، الذي غاب عن الصواب، وهو في فعله كذاب.  
يا بطال، إلى كم تؤخر التوبة وما أنت في التأخير بمعدور؟ إلى متى يقال عنك: مفتون ومغدور؟ يا مسكين، قد انقضت أشهر الخير وأنت تعد الشهور؟ أترى مقبول أنت أم مطرود؟ أترى مواصل أنت أم مهجور؟ أترى تركب النجف غداً أم أنت على وجهك مجرور؟ أترى من أهل الجحيم أنت أم من أرباب النعيم والقصور. فاز، والله،  
المخفون، وخسر هنالك المبطلون، ألا إلى الله تصير الأمور.

مالي أراك على الذنب مواطنًا أخذت من سوء الحساب أمانا  
لا تفعلن كان يومك قد أتى ... ولعل عمرك قد دنا أو حان  
ومضي الحبيب لحفر قبره مسرعا ... وأتي الصديق فأذنر الجيرانا  
وأتو بخساں وجاؤوا نحوه ... ويدا بحسلك ميتا عريانا  
فغسلت ثم كسيت ثوبا للبلوى ... ودعوا لحمل سريرك الاخوانا  
وأتاك أهلك للوداع فودعوا ... وجرت عليك دموعهم غدرانا  
فخف الله فإنه من خافه ... سكن الجنان مجاورا رضوانا  
جفات عدن لا يبيد نعيمها ... أبدا يخالط روحه ريحاننا  
ولمن عصا نار يقال لها لظى تشوى الوجه وتحرق الأبدانا  
نبكي وحق لنا البكاء يا قومنا كي لا يؤاخذنا بما قد كانا

جاء في الأثر أنه اذا كان ابن آدم في سياق الموت، بعث الله اليه خمسة من الملائكة :

أما الملك الأول ، فيأتيه روحه في الحلقوم، فيناديه : يا ابن آدم، أين بدنك القوي؟ ما أضعفه اليوم؟ أين لسانك الفصيح؟ ما أسكنه اليوم؟ أين أهلك وقرباتك؟ ما أوحشك منهم اليوم! ..  
ويأتيه الملك الثاني اذا قبض روحه، ونشر عليه الكفن، فيناديه : يا ابن آدم، أين ما أعددت من الغنى للفقير؟ أين ما أعددت من الخراب للعمaran؟ أين ما أعددت من الأنس للوحشة؟ ..  
ويأتيه الملك الثالث اذا حمل على الأعناق، فيناديه : يا ابن آدم، اليوم تسافر سفرا بعيدا لم ت ATFER سفرا بعد منه، اليوم تزور قوما لم تزورهم قبل هذا قط، اليوم تدخل مدخلا ضيقا لم تدخل أضيق منه، فطوى لك ان فزت برضوان الله، وويل لك ان رجعت بسخط الله.

ويأتيه الملك الرابع اذا أخذ في قبره فيناديه: يا ابن آدم، بالأمس كنت على ظهرها ماشيا، واليوم صرت في بطئها مضطجعا. بالأمس كنت على ظهرها ضاحكا، واليوم أصبحت في بطئها باكيًا. بالأمس كنت على ظهرها مذنبًا،

والاليوم أمسيت في بطنها نادما.

ويأتيه الملك الخامس اذا سويَ عليه التراب، وانصرف عنه الأهل والجيران والاصحاب، فیناديه: يا ابن آدم، دفونوك وترکوك، ولو أقاموا عندك ما نفعوك. جمعت المال وتركته لغيرك. اليوم تصير اما لجنة عالية، او الى نار حامية . ويروى عن بعض المتبعدين أنه قال : الهي عصيتك قويا، وأطعتك ضيقا، وأسخطتك جلدا، وخدمتك نحيفا، فيا ليت شعري، هل قبلتني على لؤمي، أم صرفتني على جرمي؟ قال: ثم غشي عليه ووقع على الأرض وانسلخت جبهته. فقامت اليه أمه، وقبلته بين عينيه، ومسحت جبهته وهي تبكي وتقول: قرة عيني في الدنيا، وثمرة فؤادي في الآخرة، كلم عجوزك الشكلي، ورد جواب أمك الحري.

قال: فأفاق الفتى من غشيه، ويده قابضة على كبدده، وروحه تتردد في جسده، ودموعه تنسكب على خده ولحيته، فقال لها: يا أماه، هذا اليوم الذي كنت تحذرني منه، وهذا هو المضرع الذي كنت تخوّفيني منه، هذا مضرع الأهوال، وسقوط عشرة الأنفال، فياأسفا على الأيام الخالية، ويا جزعي من الأيام الطوال التي لم أعرّج فيها على الاقبال.

يا أماه أنا خائف على نفسي أن يطول في النار سجني وحبسي. يا حزناه ان رميت فيها على رأسي، ويا أسفاه ان قطعت فيها أنفاسي.

يا أماه، افعلني ما أقول لك.

قالت له: يابني، فدتك نفسى، ماذا تريد؟

قال لها: ضعي خدي على التراب حتى أذوق طعم الذل في الدنيا، والتلذذ للسيد المولى، عسى أن يرحمني وينجني من نار لطى. قالت أمه: فقمت اليه في الحال، وقد أصق خده بالتراب، والدموع تجري من عينيه كالميزاب، فإذا هو ينادي بصوت ضعيف : هذا جزاء من أذنب وعصى، وهذا جزاء من أخطأ وأساء، هذا جزاء من لم يقف بباب المولى، هذا جزاء من لم يراقب العلي الأعلى.

قالت: ثم تحول الى القبلة، وقال: لبيك لبيك، لا الله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين.

قال: ثم مات في مكانه، فرأته أمه في المنام كان وجهه فلقة قمر تجلّى من سحاب، فقالت له: يابني، ما فعل بك مولاك؟ قال: رفع درجتي، وقرئني من محمد صلى الله عليه وسلم، فقالت له أمه: يابني، ما الذي سمعت منك تقوله عند وفاتك؟ فقال لها : يا أماه، هتف بي هاتف وقال لي: يا عمران، أجب داعي الله، فأجبته، ولبيت ربى عز وجل.

رحمة الله تعالى. ونسأل الله لنا ولكلم حسن الخاتمة

كاتب المقالة : منقول

تاريخ النشر : 23/10/2010

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفدر

رابط الموقع : [www.mohammdfarag.com](http://www.mohammdfarag.com)